

أعضاء البيان

@ 169 @ لها من الانتهاء إلى ذلك الوقت ، والمراد بقاء ربهم : أجل المسمى ، انتهى كلام صاحب (الكشف) ، في تفسير هذه الآية . .

وما دلّت عليه هذه الآية الكريمة من أن خلقه تعالى للسموات والأرض ، وما بينهما لا يصحّ أن يكون باطلاً ولا عبثاً ، بل ما خلقهما إلاّ بالحق ؛ لأنه لو كان خلقهما عبثاً لكان ذلك العبث باطلاً ولعبثاً ، سبحانه وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً ، بل ما خلقهما وخلق جميع ما فيهما وما بينهما إلاّ بالحق ، وذلك أنه يخلق فيهما الخلائق ، ويكلّفهم فيأمرهم ، وينهاهم ، ويعدّهم ويوعدهم ، حتى إذا انتهى الأجل المسمّى لذلك بعث الخلائق ، وجازاهم فيظهر في المؤمنين صفات رحمته ولطفه وجوده وكرمه وسعة رحمته ومغفرته ، وتظهر في الكافرين صفات عظمتهم ، وشدّة بطشه ، وعظم نكاله ، وشدّة عدله وإنصافه ، دلّت عليه آيات كثيرة من كتاب اللّٰه ؛ كقوله تعالى : { وَمَا خَلَقْنَاهُ سَمَواتٍ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُنَّ إِلَّا بِعَبْدٍ } * { وَمَا خَلَقْنَاهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلاَ كُنْ أَكْثَرُ لَهُمْ } لاَ يَعْلَمُونَ { إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ } ، فقوله تعالى : { إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ } ، بعد قوله : { مَا خَلَقْنَاهُ إِلَّا بِالْحَقِّ } ، يبيّن ما ذكرنا . وقوله تعالى : { وَمَا خَلَقْنَاهُ سَمَواتٍ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُنَّ إِلَّا بِالْحَقِّ } * { وَمَا خَلَقْنَاهُ إِلَّا بِالْحَقِّ } ، يبيّن ما ذكرنا . فقولنا : { وَمَا خَلَقْنَاهُ إِلَّا بِالْحَقِّ } ، بعد قوله : { وَمَا خَلَقْنَاهُ سَمَواتٍ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُنَّ إِلَّا بِالْحَقِّ } ، يوضح ذلك ، وقد أوضحه تعالى في قوله : { وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمَواتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا } وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِالْحُسْنَى {

وقد بيّن جلّ - وعلا أن الذين يظنون أنه خلقهما باطلاً لا لحكمه الكفار ، وهددهم على ذلك الظنّ الكاذب بالويل من النار ؛ وذلك في قوله تعالى : { وَمَا خَلَقْنَاهُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ } ، وبيّن جلّ - وعلا أنه لو لم يبعث الخلائق ويجازهم ، لكان خلقه لهم أوّلاً عبثاً ، ونزّه نفسه عن ذلك العبث سبحانه وتعالى عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله علوّاً كبيراً ؛ وذلك في قوله تعالى : { أَفَحَسِبْتُمْ أَنْ نَزَّلَهُمْ خَلْقْنَاهُمْ عِبْثًا وَأَنْ نَّزَكَّهُمْ إِلَّا إِلَٰهِنَا لَا تُرْجِعُهُمْ * فَتَدْعَا إِلَىٰ

اللَّهُمَّ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ . .
فهذه الآيات القرآنية تدلُّ على أنه تعالى ما خلق الخلق إلا بالحق ، وأنه لا بدُّ